رمزية الشخصيات وأبعادها الثقافية في سيرة الأمير حمزة البهلوان

إعداد

هيام هاشم عبد التواب

مدرس مساعد - كلية الآداب - جامعة بني سويف

الملخص:

تتناول هذه الدراسة البعد الثقافي للرمز في سيرة الأمير حمزة البهلوان المتمثل في شخصيات السيرة وما ترمز إليه، فالرمز يعد وسيلة لتجسيد وتوصيل التجربة الفنية في صورة مكثفة ومركزة لها نفس الشحنة الشعورية التي تميز التجربة، وتنحصر أهميته فيما يحدثه في معنى من المعاني من تشخيص أو تجسيم أو تقريب الصورة من خلال التشبيهات والاستعارات مما يكسب المعاني خصوصية معينة ويمنحها قدرة أكبر على التأثير في القارئ، ومن أهم هذه الشخصيات المؤثرة في أحداث السيرة وتحقيق أهدافها شخصية الأمير حمزة العرب وشخصية عمر العيار، وشخصية الخضر عليه السلام، وهذه الشخصيات تعتبر النواة الأولى التي يقوم الفنان الشعبي ببناء سيرته عليها.

Abstarct

This study deals with the cultural dimension of the symbol in the Prince Hamzah Al-Bahlawan's biography, represented by characters of the Epic and its symbol. The symbol is a way of embodying and communicating the artistic experience in an intense and focused form that has the same emotional batch along with characterizes the experience. Moreover, its importance is limited in one of the meanings such personification or Embodiment or bringing the poetic image closer through similes and metaphors, which gives the meanings a certain specificity with a greater ability to influence the reader. In addition, among the most important of these characters influencing the events of the epic, and achieving its objectives, is the character of Prince Hamzat Al-Arab, character of Omar Al-Ayyar, and Al-Khidr (PBUH). These characters are considered the first nucleus from which the Folk artist depend in its biography.

المقدمة:

ارتبط التراث القصصي العربي والأوربي -على حد سواء- بالخوارق والغيبيات، كحديث الطير والإنسان وعراك الإنس والجن، وكل ما هو من هذا القبيل بصدر رحب؛ وذلك لأن هذه المعطيات الأسطورية الخارجة عن حدود المألوف كانت من لوازم القصة وتقنياتها في تلك الأزمنة، ففي وسع الروائي أن يتخذ من الواقع الذي تنطلق منه الرواية رموزًا ذات دلالات أعمق، ومن ثم تكون هذه المعطيات الواقعية رمزًا "يحاول أن يميط اللثام عن المألوف، ليجعلنا نرى أبعد مما تراه العين المجردة، وبذا يتكشف لنا المألوف في أبعاد جديدة"[1].

وقد يجعل الراوي أو الكاتب من شيء مادي ما رمزًا لمستوى معنوي تستغرقه الرواية الرمزية كالعباءة -مثلا- التي اتخذها الروائي المصري خيري شلبي رمزًا للسيادة والزعامة في روايته القصيرة: (موت عباءة-1992م)، أما العلاقة التي تجمع بين الطرفين (العباءة) و(الزعامة) فهي علاقة مستمدة من المأثور الشعبي الريفي المصري، حين كانت العباءة قديما ملبسًا فخمًا له وقاره؛ فلا يجرؤ على ارتدائه إلا رؤساء العائلات الكبيرة، وذوو الكلمة المسموعة والشخصية المهابة، لذا أناقش في هذا الطرح الأهمية الثقافية للشخصية الرمزية في سيرة الأمير حمزة البهلوان من خلال المنهج الوصفي التحليلي في وصف الدور الأساسي لهذه الشخصية والدلالة الرمزية التي تسهم في إيضاح مقاصد السيرة للمتلقي,

تعريف الرمز:

والرَّمْزُ في اللغة كل ما أَشرت إِليه مما يُبانُ بلفظ بأَي شيءٍ أَشرت إِليه بيد أَو بعين، ورَمَزَ يَرْمُزُ يَرْمِزُ رَمْزاً. وفي التنزيل العزيز في قصة زكريا، عليه السلام: أَلا تكلِّمَ الناسَ ثلاثةَ أَيام إِلا رَمْزا[2]. الرمز: رمز: رَمَزَ: رمزاً إليه: أشاروأومأ. ترمز القوم: رمز كل منهم إلى الآخر. يقال (دخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا) أي أشار بعضهم إلى بعض. والرمز: الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب"[3] وإلى ذلك ذهب صاحبا معجم مقاييس اللغة والصحاح

---

(1) - امبرتو إيكو: السيمياء وفلسفة اللغة، ترجمة د. أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص 329..

(2) - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الخامس، ص 356

(3) - محمد أبو بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الرسالة للطباعة والنشر، الكويت، ط1،

في اللغة.

وبالإضافة إلى ذلك المعنى يشتمل الرمز على معنى الاضطراب والحركة، يقال ارتمز الرجل إذا اضطرب، وكتيبة رمازة، إذا كانت ترتمز من نواحيها لكثرتها"[1]. أي تتحرك وتضطرب كما ورد في المعاجم العربية سالفة الذكر. والمعنى الثاني هو أحد الوجوه التي تميز الرمز.

فالرمز من هذه الزاوية يشير إلى الدلالات التي يمكن أن تتسرب في غفلة إلى الكلمات والأشياء، فهو يعطي الأشياء أبعادا تخرجها عن دائرة الوظيفية والاستعمال إلى ما يشكل عمقا دلاليا يحولها إلى رموز لحالات إنسانية، ووفق هذه السيرورة فإن كل شيء يمكن أن يصبح رمزا لحالة إنسانية وفق شروط ثقافية بعينها. فالرمز: الموضوع أو التعبير أو النشاط الاستجابي الذي يحل محل غيره ويصبح بديلا مماثلا له"(2)، والرمز أيضًا "صيغة مجردة من ابتداع الإنسان وهو ينيب عن الموجودات في حضورها وغيابها و أيضا: "إشارة مرئية إلى شيء غير ظاهر بوجه عام مثل فكرة أو صفة"(3).

والرمز إجرائيا: هو ما يشير إلى معنى أو فكرة معينة يمكن قراءتها به وما يتضمنه من وحدات تصورية قابلة للتأويل على وفق المعطيات الفكرية والعقائدية السائدة في الواقع المعاش.

مفهوم الشخصية:

ومن المعلوم أن كلمة "شخصية" عربية لكن مفهومها مستمد من الثقافة الغربية، ذلك أن لفظ "**persona**" كان يعني عند اللاتينين الوجه المستعار الذي يضعه الممثل على وجهه، حيث "اعتاد ممثلو الرومان واليونان في العصور القديمة على ارتداء أقنعة على وجوههم لكي يعطوا انطباعا بالدور الذي يقومون به"(4)، فالغرض من استعمال هذا القناع هو تشخيص خلق الكائن البشري الذي يقوم بدوره المسرحي.

1983م، ص57.

(1) - أحمد بن فارس ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، مج 2، دار الجيل، بيروت، الطبعة الاولى، 1991، ص 439

(2) - مراد وهبة وآخرون: المعجم الفلسفي: (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، مطبعة أولاد احمد ,1971)، ص 104.

(3) - برنارد مايرز: الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها، تر: سعد المنصور، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية , 1966)، ص54.

(4) - غنيم سيد محمد: سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، مصر، ص 45

إن مدلول الشخصية في مجال الأدب عموما معقد؛ لأنه يشمل جميع الملامح الجسمية والوجدانية والعقلية في حالة تفاعل بعضها بعضا في الشخص الذي يعيش في بيئة اجتماعية معينة. ويفرق النقاد بين كلمتي: الشخص "**personne**" والشخصية الحكائية "**personnage**"، حيث يطلقون الأولى على الإنسان الفرد كما هو موجود في الو اقع المحسوس، أي "ذلك الكائن الحي الذي يمارس نشاطات عديدة، فهو يعمل ويعيش، يفكر ويشعر، يرغب في الشيء وعنه، يفرح ويحزن، يسعد ويشقى... إنه إنسان من لحم ودم، أي الإنسان الجامد والمتحرك الذي ينتمي إلى الجنس البشري"(1) أما الشخصية الحكائية فهي التي يسند إليها دور في النشاط الفني الإبداعي، بحيث يكون وجودها "ورقيا" فقط، بمعنى أنها تعيش بين دفتي العمل الفني فقط.

ولذا فالشخصيات أوعية للرؤى الإبداعية وهي مجموعة من الإشارات والرموز أيضا، ولذا فهي عنصر بنائي محوري في تكوين الرو اية؛ وذلك لأن مادة (الحكاية) التي هي جوهر الفن الرو ائي يتعذر تكوينها دون اعتماد على أشخاص يقومون بها، وقد يصح أن تكون الحكاية مُطْلقة الزمان والمكان، لكنها لا تخلو – قطعًا – من شخوص تصنع أحداثها.

وفيما يتعلق بهذه الدراسة فإن تنوع الشخصيات في السير الشعبية ذو أهمية كبيرة، وقد كان التركيز الأساسي في تناول الشخصية محصورا في الشخصيات التي تتميز بالجسد والشعور والمزودة بالذكاء والكلام الواضح المبين، في حين أن الشخصية الحكائية يمكن أن تستعين للقيام بدورها بعناصر مادية أو معنوية مجردة من الوعي.

سيرة الأمير حمزة البهلوان:

ولا شك في أن السيرة الشعبية التي تناقلتها الأجيال العربية منذ العصر المملوكي تمثل واحدة من أهم الأوعية الحاملة للثقافة العربية، فقد تناقلت الشعوب العربية هذه السير في البلدان العربية وفق تغيرات محدودة لا تتجاوز الرؤية الكلية لها، وهذا ما يؤكد أن هذه السير لا تتحدد بالتعبير عن ثقافة مجتمعات محلية بل تشير إلى ثقافة أمة.

لذا تعتمد السيرة الشعبية العربية على جذور تاريخية حقيقية فما من سيرة من السير إلا وتدور حول بطل كان له وجود في التاريخ يوماً ما، قام بأفعال جليلة وخاض حروباً ومعارك في سبيل قيم سامية مما جعل شهرته تسبقه إلى كل مكان، وهذه الجذور التاريخية تعتبر النواة الأولى التي يقوم الفنان الشعبي ببناء سيرته عليها "فهو يرى في

(1) - سويرتي محمد: النقد البنيوي والنص الرو ائي، إفريقيا الشرق، المغرب، 1991م، ص 70

الحقيقة التاريخية شيئا أشبه بهيكل عظمي فيكسوها بخياله لحما وينفخ فيه من روحه الإبداعية الجديدة وإذا بالحدث التاريخي حين يعود إلينا حيا بفضل الإبداع الفني ولا يعود بصورته التاريخية الدقيقة. ولكن في الإطار العام للقيم والمثل والأخلاقيات التي يمثلها الفنان تعبيرًا عن المجتمع الذي أنجبه"(1). ويقول محمد رجب النجار: "ويمكن القول بأن السير والملاحم الشعبية العربية نص ثقافي رمزي بالغ الأهمية في معرفة الثقافة القومية المشتركة، ورصد قيمها المشتركة - ومن ثم عاداتها وتقاليدها- والحفاظ عليها..."(2)

وسيرة حمزة البهلوان(3) تعد تجسيدًا للصراع التقليدي بين الثقافتين العربية والفارسية، فهي تسجل بشكل دقيق التمزق الذي عاناه المجتمع العربي من خلال أنساقه الاجتماعية والسياسية والثقافية بعد اختلاطه بأجناس غير عربية لشعوب لها حضارات قديمة اصطدمت بالضرورة بقيم المجتمع العربي فأحدثت خللًا وارتباكًا وتهميشًا دفعها للمقاومة بكل ما تملك من أسلحة، ومن هنا ظهر أبطال هذه المقاومة في العواصم العربية بغداد ودمشق والقاهرة المتمثلة في سيرة حمزة العرب أو حمزة البهلوان، وما يوضح أهم مقاصد هذه السيرة ما يقوله الأمير حمزة العرب للنعمان ملك الحيرة: "لا أريد من كسرى إلا أن يعترف بفضل العرب وبسالتهم لأني لا احتاج إلى التفافه، ما زلت قادرًا على أن أنشيء الشرف لنفسي و أقيم لي في صدر هذا الزمان مركزًا حسنًا، فإذا لم يعترف كسرى لفضل العرب ألزمته إلى ذلك بقوة سيفي الأحدب وشدة بأسي وما أعطاني الله من قوة الجنان(4)"

---

(1) - خطري عر ابي، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية، سيرة سيف بن ذي يزن أنموذجا، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة،.2009م، ص1.

(2) - محمد رجب النجار: الثقافة العربية المشتركة في التراث الشعبي العربي، ع2، جامعة المنصورة، 2000م، ص19.

(3) - سيرة الأمير حمزة العرب التي اشتهرت في البيئات الشعبية العربية باسم سيرة أو قصة حمزة البهلوان المعروف بحمزة العرب... والبهلوان هنا لقب أطلقه عليه الملك كسرى بمعنى بطل الأبطال، وعلى الرغم من اشتهار السيرة باسم سيرة حمزة البهلوان؛ إلا أنني أود أن أطلق عليه حمزة العرب لعدة أسباب: فهو العنوان الفرعي للسيرة، و أيضًا لأنه الاسم الذي ذُكر به حمزة طول السيرة منذ نبوءة ميلاده وظل لاصقًا ومتميزًا به خلال السيرة كلها حتى في كل خطاباته ورسائله لملوك البلاد كان يطلق على نفسه حمزة العرب، و أيضًا لأنه الاسم الأدق في الدلالة على القضية المحورية للسيرة (الهوية القومية العربية). .

- ( )الأمير حمزة البهلوان المعروف بحمزة العرب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، الجزء الأول،

لقد أكدت السير اعتمادها الأساس على شخصية واحدة واعتبرت هذه الشخصية هي البؤرة التي كانت تتجمع حولها الأحداث، وتتوزع منها الأعمال وتتحرك في اتجاه قدرتها كل الأفعال الثانوية التي تتصل بهذه الشخصية بشكل مباشر أو غير مباشر. ولم يكن اختيار تلك الشخصيات اختيارا عابثا، أو التقاطا غير مدروس، و إنما كان الاختيار يوحي بالتفكير المنطقي والتوجه المدرك والاختيار الذي يحقق الأهداف المرجوة، لأن انتقاء البطل في تلك المرحلة كان انتقاء يخضع لعوامل كثيرة منها ما يتصل بطبيعة تكوينه النفسي والاجتماعي، ومنها ما يتعلق بخصائصه الخُلُقية والخَلقية، ومنها ما يتصل بعلاقته بأبناء قومه من جهة وبغيرهم من الأقوام من جهة أخرى إلى جانب العوامل الأخرى المتعلقة بظروف المرحلة التي تمر بها الأمة، وتطلع الجمهور الذي تكتب إليه السيرة، وطبيعة الحياة العامة التي تقدم من خلالها أحداث السيرة. لهذا كان اختيار شخصيات السيرة اختيارا موفقا، ينسجم وظروف الحياة ويتفق مع البيئة السياسية والفكرية والاجتماعية التي يمر بها الوطن العربي.

لا ملحمة بلا بطولة خارقة، فكذلك لا بطولة إلا بالفروسية ولا بطل إلا الفارس الذي يتحلى بخلائق الفرسان.. وتلك هي السمة الأساسية الأولى التي نلاحظها في سيرنا وملاحمنا الشعبية جميعا، تلك هي السمة الجوهرية المميزة لكل بطل ملحمي فيها بغير استثناء، حيث تجمعهم الفروسية، وتطبعهم الفتوة العربية بطابعها العربي المعروف المشهور وهذه الملاحم الشعبية العربية سوف تبقى أكبر تاريخ فروسي في الثقافة القومية المشتركة وقيمها وفضائلها.

وتقابلنا في سيرة حمزة البهلوان شخصية الأمير حمزة بن الأمير إبراهيم حاكم مكة:

ولتوضيح الأبعاد الثقافية للرموز الموظفة في الشخصيات نوضح السمات والخصائص التي تتو افر على الأغلب في الشخصية التي تنتمي إلى القومية العربية وفق سيرة حمزة العرب ... وسوف أعتمد على شخصية البطل حمزة بالدرجة الأولى بحكم كونه يمثل الشخصية النموذجية التي تحققت فيها مواصفات القيادة في إطار ثقافة معينة.

والقاص في هذه السيرة يتبنى قضية هامة هي التأصيل الحضاري أو الصراع القائم بين العرب والفرس ومعاركهم، ووقع اختياره على شخصية "حمزة بن الأمير إبراهيم أمير مكة" ولكنه لم يفصح عن و اقعه التاريخي الأمر الذي اضطرب بسببه

1985م، ص 54) - [4](

الباحثون ولم يحسموا من أمره شيئا، وذلك لأنهم اعتقدوا أن السيرة في تأليفها من إبداع مرحلة متأخرة، ومنهم من اعتقد بأن حمزة شخصية "أسطورية" وهمية خيالية، ومنهم(1) من رجح أنه استلهم شخصية حمزة بشكل خاص من شخصية أحد القادة العثمانيين هو "حمزة السلحدار" الذي تولى مصر من قبل الباب العالي سنة 1724م، ولكن هذه الشخصية لم تعش في العالم العربي – في مصر خاصة- أكثر من سنة هي مدة ولايته ثم طرد على أثرها من مصر شر طرده، عاشها في صراع بينه وبين مماليك علي بك الكبير حتى تخلصوا منه.(2)

وقف هنا عند النواة التاريخية لشخصية حمزة العرب التي جاءت انعكاسا – كما أرجح- لشخصية حمزة ابن عبد المطلب، عم الرسول عليه السلام (توفي سنة 3هـ، 625م) وذلك لأن السيرة تعود في إبداعها وكتابتها الفنية للقرن الثالث والرابع الهجري والعرب في أوج شعورهم بفضل الإسلام عليهم، وخاصة في دفاعهم المستميت أمام الهجمات الشعوبية المهولة التي بدأت تشكك في الإسلام نفسه(3).

وبناء على الكتابة الفنية وأسلوب القاص فإنه يعيش في كنف بني العباس ويدافع عنهم، فاستلهم منهم شخصية و اقعية ذات جانب ديني عربي استلهاما فنيا بارعا فوقع اختياره على شخصية حمزة بن عبد المطلب ونجده أقرب الشخصيات إلى التشخيص الملحمي والفني لحمزة العرب بسبب عروبته وأصله النبيل؛ فهو من صفوة قريش ومن خيارها، وموقفه المعروف من الإسلام في غزوتي بدر وأحد، حتى أنه استشهد في سبيله وهي خير نهاية لبطل ملحمي، فاستحق بذلك لقب الرسول عليه السلام: "سيد الشهداء". ثم هو يلقى مصرعه غدرًا، تماما كأبطال الملاحم وصفاته صفات ملحمية بطولية.

وكان من السهل بعد ذلك أن يستبدل القاص اسم عبد المطلب بإبراهيم تمويها فنيا ذكيا ورمزا دينيا في الوقت نفسه، فلا يتهم بالمباشرة في التعبير من ناحية، وحتى لا يصطدم بعلماء الدين والتاريخ من ناحية ثانية ويطلق لنفسه عنان الخيال من ناحية أخرى؛ وإذا كان عبد المطلب حقا أمير مكة وسيدها بلا منازع من الناحيتين الدينية والروحية في الجاهلية، فإن اسم ابراهيم أفاده في قضيته من ناحية أخرى ليس في المجال

(1) – انظر: سيرة حمزة البهلوان: غريب محمد غريب، رسالة ماجستير لم تطبع، ص164،163،162.

(2) - انظر: دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 8، مادة حمزة.

(3) - انظر: محمد رجب النجار: البطل في الملاحم الشعبية العربية (قضاياه وملامحه الفنية)، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2018م، ص324.

الديني فحسب، بل في المجال القومي الذي يعتقد فيه العرب بانتمائهم إلى اسماعيل ولده، فضلا عن انتمائهم الروحي والديني إليه، لذا وجد القاص إنه من المهم اختيار معادل فني أو بطل ملحمي يناسب التعبير عن هذه القضية الهامة، وكان هو حمزة بن عبد المطلب من عصر البطولة العربية.(1)

وهناك ما يخالف هذا الرأي القائل بأن شخصية الأمير حمزة جاءت انعكاسا لشخصية حمزة ابن عبد المطلب، فيشير الدكتور محجوب إلى أن بطل هذه القصة في الروايات ليس حمزة عم الرسول الأكرم عليه السلام، أما في المراحل المتأخرة فإنه لم يكن هناك حمزة أشهر وأرفع من حمزة بن عبد المطلب فقد وضعوه بطلا لهذه الحكاية، وفي النهاية أوصلوا قصته إلى درجة تطابق التاريخ الحقيقي، حينما جعلوه يستشهد في غزوة أحد على يد الغلام وحشي(2).

شخصية مهردكار:

تعني كما تترجمه السيرة "شمس النهار" وجاءت لأداء وظيفة رمزية خاصة، وهي ابنة كسرى أنو شروان ملك الفرس وهي الرمز الحضاري الرائع فهذه الشخصية وعاء ثقافي خاص وقصود له وظائفه ومقاصده، كما ظهرت عبلة في حياة عنترة رمزا للتحرير، وقد وقعت مهردكار في حب الفارس العربي ويكون هذا الحب حافزا رائعا من حو افز الوجود، فتبدأ هي في مكاتبته والبوح بحبها له وترغب في الدخول بدينه وتسعى للزواج منه وتعاهده على ذلك.

بينما يفكر حمزة في الفوارق الحضارية التي تفصل بينهما، ويسأل نفسه: " كيف أن هذه الفتاة التي حفظت كل قواعد الآداب، وتعلمت العلوم الفارسية والعربية، رغبت في أن تدعوه إلى حبها ومعاهدتها، مع إنها بنت ملك، وهو بدوي لا يملك مالا ولا قصورا يقدر أن يرضيها بالإقامة فيها، وإن كان بقوة جنانه وقائم سيفه يقدر أن ينال كل ما يريد، غير أنه لا يحكم على المستقبل"(3)

والمرأة لعبت دورا أساسيا متصلا بالبطل منذ البداية حتى النهاية، كما في سيرة

---

(1) - انظر: محمد رجب النجار: البطل في الملاحم الشعبية.

(2) - محمد جعفر محجوب، أدبيات عاميانه أي إيران (الأدب الشعبي الإيراني): مجموعة مقالات به كوشش حسن ذو الفقاري، نشر جشمه، تمهران، 1382هـ ش، ص ص 130-131، و أيضا ص 1143.

(3)- سيرة الأمير حمزة البهلوان، ج1، ص75.

عنترة في موقفه مع قومه من أجل عبلة، وهذا يؤكد أن المرأة في هاتين الملحمتين رمز فني لجأ إليه القاص الشعبي، ومثلما كانت عبلة رمزا للتحرير أصبحت مهردكار رمزا للحرية المدنية معا، فحمزة هنا يريد مهردكار الرمز وليست المرأة، وبعد أن اختفت تظهر مهردكار مرة أخرى في نهاية السيرة ولكن ظهورها مبني على أساس متين من المعتقد رمزا لتكامل المثال الذي ينبغي أن يكون بدوره رمزا للتكامل الحضاري في السيرة أي اللقاء الحضاري بشقيه المادي والروحي معا والرمز الصريح الذي تريده الجماعة العربية.

عمر العيار(1):

إن دوره ليس دورا مكملا للبطل الملحمي، بل هو جزء رئيسي من البطولة الملحمية. ويتسم البطل المساعد بقوة الحيلة والقدرة على المكر والدهاء، ففيه دهاء وفطنة وذكاء، وحيلة لا تنفد، وألاعيبه طريفة ورائعة لا يمكن لأحد أن يكشفها مهما أخذ حذره، حتى نستطيع القول إن السلاح الحقيقي والرمز الذي يتوسل به هذا البطل المساعد هو العقل والحيل والدهاء، فالاعتماد عليهم من الأمور التي جاءت من امتزاج الأجناس في المجتمع العباسي خاصة حيث ظهرت التيارات الثقافية المختلفة.

والبطل المساعد يساعد البطل الرئيسي ويشاركه أهدافه وغاياته قوميا واجتماعيا و إنسانيا ودينيا. ولعل الفارق الرئيسي بينهما هو فارق في الوسيلة، فالبطل الملحمي فارس الفرسان بغير منازع، والبطل المساعد أدهى الدهاة وهو أقرب الشخصيات تفهما لنفسية البطل وطبيعة دوره و أكثر الأشخاص إيمانا له وبرسالته و أكثرهم وفاء له، وبدونه لا يستطيع أن يؤدى البطل رسالته.

وفي سيرة الأمير حمزة العرب نرى شخصية عمر العيار شخصية ليس لها و اقع تاريخي مباشر، وله بدوره شخوص مساعدة ليكون بينهم "أمير العيارين ورئيسهم" ويظل يرقى حتى يصل إلى رتبة الوزارة في أول حكومة مركزية عربية يؤسسها حمزة العرب. ويقدمه القاص تقديما طريفا منذ ساعة مولده يناسب شخصيته وتوظيفها؛ إذ يولد في ظروف غير طبيعية، تحقيقا لطموح مادي يسعى أبوه لتحقيقه، وسرعان ما تنبأ له

(1) - العيار لغة: من عار يعير عيرا، ذهب وجاء مترددا، يقال عار الفرس هام على وجهه لا يثنيه شيء، والاسم العيار، ومن مشتقاتها العائر وهو المتردد الجوال، والعيار الكثير التجوال والطواف والكثير المجيء والذهاب، والذكي الكثير التطواف، والعيرانة من الأبل، الناجية في نشاط ...انظر: المادة نفسها في القاموس المحيط للفيروز أبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- الطبعة الثانية،1952م، ص101، ج2.

المتنبئون - بعد مولده- بدوره في الملحمة، فهو منذ البداية "سيكون من رفاق حمزة، وساعدا قويا له عند الضيق، ويخلصه على الدوام عند الوقوع في الشدائد والمصاعب، و أنه سوف يكون عصا حمزة التي يتوكأ عليها في كل حياته، ويحتاجه في كل أوقاته"(1)

نشأ عمر العيار في خدمة الأمير حمزة، ولازمه منذ ساعة الميلاد، يرضعان سويا ويكبران سويا ولا يعرف حمزة فيه إلا أخاه عمر ولا يدعوه إلا بأخي عمر، وأحب بعضهما بعضا حبا عظيما، وأخذ عمر يعد نفسه إعدادا خاصا للدور الذي يلعبه؛ دور "عمر العيار" وللعيارة مهارات خاصة وملكات بعينها، لا تتو افر في أي إنسان، ومن ثم بدأ في تدريب نفسه واختار أربعين غلاما لنفسه، وشرع يعلمهم فنون العيارة، ومنها "العبادة والزندقة" أي دراسة الأديان السماوية وغير السماوية، و أبواب الحيل والخداع وضرب النبال(2).

ونرى عمر العيار الذي تولى وزارة أول حكومة مركزية عربية يؤسسها الأمير حمزة وبعد أن اختلف مع حمزة وتفرق العرب وهزموا على يد كسرى ووزيره بختك.. إلا أن عمر تدارك الأمر وسعى لجمع شمل العرب وإزاحة هذه الكارثة وأسسوا حكومة مركزية أخرى وكان وزيرها عمر العيار للمرة الثانية فأصبح عمر هنا رمزا سياسيا للمجتمع المتحضر الجديد الذي نهض به حمزة في الملحمة.

الوزير بزرجمهر:

الوزير المؤمن -على حد تعبير السيرة- الذي كان يعبد دين الله تعالى، ولا يدين بالمجوسية والنار، وهو وثيقة مشتركة بين الملاحم الشعبية العربية، يكون عينا للبطل في بلاط الأعداء، كما يسعى لخلاصه دائما، وهو هنا إلى جانب ذلك يلعب دورا أهم؛ إذ يمثل بتعاونه مع العرب التعاون الإسلامي في أسمى معانيه، كما يمثل وقوف العلم إلى جانب الحق، والسياسة إلى جانب السيف، والحضارة إلى جانب البداوة. فالجانب الإيماني عند هذا الوزير له هدف خاص كما ذكرنا، ومن ثم يصبح في نهاية الحرب وزير العرب، كما ظل طوال الملحمة مشيرا لحمزة الذي لم يكن ليعصي له أمرا، فإذا عصاه كان وبالا عليه، وكان بارعا في الطب والعلاج وهو رمز العلاج الروحي الذي يحمي الحضارات من السقوط والانهيار.

الوزير بختك:

(1) - انظر سيرة الأمير حمزة البهلوان، ج1، ص 7-8

(2) - انظر سيرة الأمير حمزة البهلوان، ج1، ص16.

يمثل الصراع الضدي في السيرة وهو وزير كسرى أنو شروان وهو جرثومة الشر والفساد، يكره العرب وينظر إليهم بمنظور فوقي يرى من خلاله العرب أدنى منزلة من الفرس، مما دعاه لأن يثني كسرى عن قراره بتزويج مهردكار من حمزة عندما عرض عليه الأمر، وهو رمز الشر والانحطاط في السيرة فأخذ يتوعد حمزة بالاختبارات والمهالك على مدار كل الحروب والمعارك للخلاص منه ومن العرب جميعا، ولابد من وجود الصراع الضدي في السيرة حتى ينتصر الخير في النهاية مثلما وقف عم عنترة عائقًا أمام زواجه، كما في سيرة بني هلال شخصيات سلبية أيضًا.

الأمير قاسم:

حفيد الأمير حمزة من ابنه رستم صاحب الشأن لديه، فقد تدنت منزلته، وهو رمز الانقسام والفساد في الحكم، فقد حاول قتل بديع الزمان مرات عديدة وحاول التخلص من ابنه الذي أحب ابنته، إذ طلب مهرًا صعب المنال لابنته، وعبر الراوي عن الإشكالية التي أدت إلى انحطاط قدر قاسم: "وأعوذ من شيطان هذه العادة المخلّة فإنها إذا تمكنت بالقلوب لا يزيلها إلا الموت ولا يقدر على قطعها تكرار الزمان، فتصير ملكة راسخة بصاحبها يرى بها الشريف دنيئًا فيحتقره... والمتواضع ذليلا فيهينه والملك عبدا فلا يكرمه، ولا تزال غربانها جاثمة على جيفة أفكاره ومخيلته حتى تهوى به إلى الحضيض، وترسله إلى وديان الظلمات فيحتقره الخاص والعام، ويمقته وينكره ذووه وأصحابه إلى أن يموت ممقوتًا من الأقارب مكروها من الأصحاب مذموما ومرذولًا من العالم"(1). لقد عبر الراوي عن اختلال موازين القيم لدى الأمير قاسم فما يستحق الإقدام يحجم عنه، مما جعل مكانته حقيرة بين الخاص والعام.

البطل والقوى الغيبية والخوارق:

وأعني بها تلك القوة التي تتدخل لمساعدة الأبطال في حروبهم، وخلاصهم و إنقاذهم إذا ما تعرضوا لشدة أو مهلك من المهالك. إنها ببساطة هذا البديل الإلهي الذي كان يتدخل لنصرة الأبطال في الملحمة الإغريقية مثلا. وقد تجلت هذه القوى في أكثر من مظهر وفي أكثر من وسيلة، فمن الناحية المعنوية حيث تكون المشيئة الإلهية دائما إلى جانب البطل الملحمي لأنه بطل له غايات إسلامية وغايات قومية وحتى يرفع راية الجهاد الديني في كل معاركه، فتجلت هذه القوى في:

الجان والأعوان:

(1) - سيرة الأمير حمزة الهلوان، ج4، ص 225-226.

يمثل الجان هنا دورا كبيرا في الدفاع عن حمزة، بعد أن هزم جيشه فجاءت له النجدة "من عالم الغيب، من الجان"(1)، وذلك عندما يأتي الملك راعد –أحد فرسان الجان- يستغيث بحمزة في استرداد ملكه من عمه الباطش الطاغي "في بلاد قاف"، وقد أخبره أحد كهان الجان بأن ملكه لن يعود من يد عمه إلا على يد فارس واحد من العرب، موفق بعناية إلهية، هو الأمير حمزة؛ فعنده سيف يقتل به الإنس والجان، فهو وحده الذي يقدر على قتل عمك، ونزع الملك منه وإعادته إليك"(2).

ولما كان حمزة في قتال مع العجم تدخل هذا الجني راعد لصالح حمزة، فاستطاع أن يحيل انتصار العجم إلى هزيمة ساحقة، خسر معها كسرى ثلث جيشه، وأن ينتصر حمزة والعرب. وبعد المعركة ذهب حمزة معه هذا الجني - الذي كان سببا في نصره هذا النصر الساحق – إلى بلاد قاف، و انتصر له من عمه، وأعاد إليه ملكه وبلاده(3).

وفي ممالك الجان كانت لحمزة مغامرات وحروب لا حصر لها، تبدأ منذ لقائه بالملكة الجنية "أسما بري" ولم يكن أجمل منها، مسموعة الكلمة، رفيعة القدر بين طو ائف الجان. وهي التي تلد له ابنته "قريشة"(4)، ولعل ذلك تفسير أسطوري لأصول قبيلة قريش، مزيج من الإنس والجن. ويقضي حمزة ثلاث سنوات في بلاد قاف في حروب مستمرة مع طو ائف الجان الكافر والشرير، وتدور هذه الحروب حول أمرين يسعى البطل لتحقيقهما وتأكيدهما: الأول: تأكيد الفضائل وتحقيقها، والانتصار للخير على الشر، الانتصار للعدل على الظلم، و انتصارا للحق والعدل كما تعبر السيرة. والثاني: نشر الإيمان والتوحيد وعبادة الله تعالى: ولهذا كان كثيرا ما يحارب إلى جانب حمزة طو ائف الجان المؤمن الذي يمده بالذخائر اللازمة، أو يدله على كنوز الملك سليمان، أو يداويه من جروحه المميتة، وهكذا كانت حروب حمزة مع الجان، التي كان يعلنها عليه خصومه من أمثال بختك، وأرباب السحر والكهانة من المجوس وعباد النار أو غيرهم، ممن ليسوا على دين البطل.

وكان لسيدنا سليمان خاتم تركزت فيه قدرته الخارقة حتى أنه لما فقده كما تقول التفاسير دار على رعيته يقول إنه ملكهم فلم يصدقه أحد، ولم يعد إليه ملكه إلا بعودة

(1) - السيرة، م2، ص4

(2) - السيرة، م2، ص9-10

(3) - السيرة، م2، ص16.

(4) - السيرة، م2، ص50

خاتمه، "هذا الخاتم عنصر هام في عالم الخوارق في الليالي. فكثيرا ما يقع البطل على خاتم فإذا فركه ظهرت له الجن مؤتمرة بأمره فيأمرها بما يشاء. وينص القاص أحيانا على أنه خاتم سيدنا سليمان ولكنه يذكره أحيانا أخرى على أنه خاتم الملك أو خاتم ليس غير"(1).

وتحفل الملحمة بهذا النوع من الحروب بين حمزة وطوائف الجان، وبخاصة في الجزء الأخير منها؛ حيث يلجأ أعداء البطل إلى استخدام السحر والكهانة، وحروب الأقلام، وأحيانا يتمكنون من تحقيق نصر رخيص على العرب، كما حدث عندكما استخدم "الخوند" خاتمه المرصود في تسخير الأعوان وأرهاط الجان والمردة في محاربة حمزة وهزيمته، لولا أن تدخلت أسمابري في الوقت المناسب(2).

الخضر عليه السلام:

ومن أبرز البشر الصالحين هو سيدنا الخضر؛ ذلك الاسم الذي إذا ما ورد ذكره عند الضمير الشعبي المصري قيل على الفور"عليكم السلام" أو"عليه السلام"، اعتقادا بأن "سيدنا الخضر" قد حضر في تلك اللحظة التي ذكر فيها اسمه، ومن ثم يستوجب ذلك رد سلامه الذي يلقيه على الحاضرين الذين يراهم ولا يرونه"(3)

وتعددت ألقاب "سيدنا الخضر" تعددا كثيرا. وأشهر ألقابه على الإطلاق هو "الخضر" وقد اختلفت الأقاويل في سبب هذه التسمية. قال وهب بن منبه: إنما سمي بالخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء. وقيل إن الفروة هي الأرض. وقال الحطابي: إنما سمي الخضر خضرا لإشراق وجهه، وقال مجاهد: كان إذا صلى أخضر مكان سجوده(4).

ومن ألقاب سيدنا الخضر التي عرف بها لقب "أبو العباس" وهو الاسم الذي ورد في بعض السير الشعبية والحكايات مثل سيرة عنترة بن شداد، وسيرة سيف بن ذي يزن، وسيرة حمزة البهلوان، وبعض حكايات ألف ليلة وليلة، كما أطلق عليه لقب "الإمام الأعظم" و"الخضر الأخضر أبو العباس" في سيرة حمزة البهلوان(5) والظاهر بيبرس،

---

(1) - سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، دار المعارف، الطبعة 4، ص141

(2) - السيرة، م3، ص267 وما بعدها

(3) - أحمد آمين: قاموس العادات والتقاليد، مكتبة النهضة المصرية- ط2، ص 193.

(4) - انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بالأزهر - 1954م، ص 135.

(5) - سيرة حمزة البهلوان، م 1، ص 34.

ولقب "نقيب الرجال" في سيرة الملك سيف بن ذي يزن، فضلا عن لقب "الأستاذ" الذي شاع كثيرا عنه في سيرة سيف بن ذي يزن وغيرها من السير الشعبية العربية الأخرى.

ويختلف المهتمون بشخصية "سيدنا الخضر" في تحديد صفاته الشكلية والجسدية ولهذا الشكل وتلك الصورة رمزية خاصة لسيدنا الخضر عليه السلام، فهو عند ابن إياس أشهل العينين، ضخم الجسد، طويل القامة، أبيض اللحية، أحمر الوجه، زاهي المنظر. وفي السيرة الشعبية "حمزة البهلوان" نلمح "سيدنا الخضر" راكبا على جواد أبيض في صورة فارس"(1)، وعلى امتداد هذه السيرة الشعبية يظهر كشيخ بثياب خضراء وعليه وشاح أخضر لامع، وله لحية بيضاء جدا يحيط بها هالة من النور(2).

ويظهر "سيدنا الخضر" في عدد من السير والحكايات الشعبية ويختفي أيضا في لمح البصر وإن كان هذا الاختفاء لا يكون إلا بعد أداء مهمة عاجلة تتطلب إنقاذ بطل من أبطال هذه السير والحكايات الشعبية، فقد اختصت السيرة الشعبية "حمزة البهلوان" مسألة الظهور والاختفاء هذين بانبعاث رائحة البخور، وكأنما أراد الإبداع الثقافي الشعبي أن يبعث في كل مكان تجوس فيه قدماه رائحة ذكية تبعث على الراحة والاطمئنان.

وهذه الصفات التي أسبغها الإبداع الثقافي الشعبي إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى حب الثقافة الشعبية لسيدنا الخضر وإعزازها له. وقد وصل الأمر بهذا الحب والإعزاز إلى درجة الدعاء بجاه سيدنا الخضر لكي تستجاب الدعوة والقسم به كما في السيرة الهلالية على لسان خضرة الشريفة أم أبي زيد الهلالي بطل السيرة(3).

ولم يشأ الإبداع الثقافي الشعبي أن يرسم سمات "سيدنا الخضر" إلا إنسانا مثقفا ثقافة غير عادية، فهو يمثل الثقافة الباطنية الرمزية وفصاحة اللسان. ويؤكد هذه الفصاحة كل من ابن إياس وراوي سيرة حمزة البهلوان، والظاهر بيبرس، والثعلبي، و ابن كثير، ووهب ابن منبه...وفي سيرة حمزة البهلوان يقف سيدنا الخضر مواسيا بطل السيرة حينما لا يجد مفرا من زواجه من (اسمابري) التي خشي البطل منها أن تمنعه من العودة لبلاده ورؤية أهله. وكانت نظرة سيدنا الخضر لهذا الأمر أنه قدر الله ولابد أن يقع،

(1) - سيرة حمزة البهلوان، م1، ص 33.

(2) - انظر: سيرة حمزة البهلوان، م 2، ص259.

(3) - تغريبه بني هلال، مكتبة محمد علي صبيح بالأزهر بالقاهرة، ص 121.

وهذا لخير البطل لا لشره(1).

فالخضر يروي الحكم والتعاليم والوصايا، لا على الناس العاديين وحسب، بل على من هم من الأنبياء كسيدنا موسى بن عمران عليه السلام، فمن جملة تلك التعاليم والوصايا التي نسبت لسيدنا الخضر، والتي ما زالت منتشرة عند الوعاظ والمؤدبين: "لا تكن مشاء في غير حاجة، و إياك واللجاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير الخاطئين بخطاياهم، و ابك على خطيئتك، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد(2)"

ونستطيع أن نلاحظ أن تلك الثقافة التي نسبت لسيدنا الخضر هي ثقافة ذات صياغة صوفية تدعو إلى الزهد في الدنيا لمجابهة شهوات النفس، وعلى الرغم من أن تلك الصياغة اللغوية تخفي وراءها أصابع أزهرية إلا أنها تعود بسيدنا الخضر إلى تلك الصورة التي رسمها التراث العبري القديم له، ألا وهي العزوف عن متاع الحياة الدنيا، والانكباب على العبادة في الخلاء.

ومن العلامات المميزة له اخضرار الأرض تحت أقدام سيدنا الخضر عند صلاته، وهذه الخصيصة لم يغفلها الراوي الشعبي في السير بل جعل الاخضرار في أي وقت يكون وليس في وقت الصلاة فقط، ففي سيرة حمزة البهلوان يظهر سيدنا الخضر للأمير حمزة الذي أمضه العطش، وهو يسير ف صحراء قاحلة، فيحيل هذا الظهور المفاجئ لسيدنا الخضر رمال تلك الصحراء إلى أرض خضراء منزرعة(3).

وإذا كان اخضرار الأرض هو أحد خصائص سيدنا الخضر، فإن دلالات الماء وإرواء العطش لها معان مقصودة، وقد ظهر لموسى عليه السلام عند الماء كذلك فارتباط سيدنا الخضر بالماء أمر مهم في رموز البطولة، سواء أكان هذا الماء عذبا فراتا أم كان ملحا أجاجا، فسيدنا الخضر كثيرا ما يحمل الماء لأبطال السير والحكايات الشعبية حينما يظهر لهم ليحميهم من العطش. وفي السيرة الشعبية "حمزة البهلوان" يقدم سيدنا الخضر للأمير حمزة حصاة تقيه من الظمأ إذا ما وضعها تحت لسانه، بل وتقيه من الجوع كذلك(4)، ويتعدد ظهور سيدنا الخضر في السير الشعبية وهو يتوضأ من نهر، وبالماء يحيل سيف الأمير حمزة البهلوان عندما يبلله به إلى سيف غير عادي تهابه المردة والجان

(1) - سيرة حمزة البهلوان، م2، ص 272.

(2) - الثعلبي: قصص الأنبياء، ص 129. طبعة مكتبة الجمهورية العربية بالأزهر.

(3) - سيرة حمزة البهلوان، م2، ص259

(4) – سيرة حمزة البهلوان، م2، ص273.

وتفر منه(1).

وقد استطاع الإبداع الثقافي الشعبي أن يسبغ على سيدنا الخضر قدرات جسدية هائلة يبذلها من أجل الخير والحق ونصرة الضعفاء والمظلومين من البشر؛ ففي هذه السيرة "نجد أن بديع الزمان - وهو ابن الأمير حمزة البهلوان- لا يعبر السد المنيع الفاصل بين الإنس والجن إلا بمعونة سيدنا الخضر الذي أوضح له أن ذلك الفعل المعجز ليس إلا بقوة الله"(2) في سيرة حمزة البهلوان نرى الخضر يعالج حمزة بكرامة أولياء الله الصالحين فنرى الأمير حمزة يصاب في إحدى قدميه إصابة بالغة، غير أنه بلمسة واحدة من يد سيدنا الخضر المباركة للرجل المصابة أعادت إلى الأمير حمزة الصحة والعافية والقوة من جديد(3).

وأراد الإبداع الثقافي أن يضع سيدنا الخضر في صورة العالم بالغيب، فهو في أول لقاء له مع الأمير حمزة البهلوان يخبره بأنه الرجل الذي سيرتفع به شأن العرب في هذه الأيام، ويتخلصون من مظالم الفرس على يديه، ويذل الدولة الكسراوية إلى آخر الأيام"(4)

وفي موضع ثان من سيرة حمزة البهلوان نجد سيدنا الخضر يفشي سر عدو الأمير حمزة البهلوان إليه، وهو المسمى باسم "بهران" حيث دهن جسمه بدهان مطلسم يقيه من شر ضربات الأعداء له، إلا أن الخضر يدله على نقطة ضعف عدوه وهي رأسه التي لم تدهن، ويمكن عن طريقها أن يصيبه في مقتل"(5)، ونستطيع من خلال معطيات الثقافة الشعبية أن نلمح صورة الإبداع الثقافي الشعبي لسيدنا الخضر ومدى ما طرأ عليها عبر تراكمات فولكلورية نشأت وترعرعت خلال ثقافات متضافرة وهي بالطبع بصمة واضحة من بصمات الثقافة العربية الإسلامية.

يتجلى الخضر عليه السلام في الملاحم جميعا للأبطال، يؤيدهم ويرشدهم ويبشرهم ويمدهم بكل ما يحتاجون. والخضر عليه السلام في الملحمة العربية يعرف ما حدث وما يحدث دائما، وهو دائما على اتصال بعالم الحال، ويطلق عليه المدد الإلهي أو العون الإلهي، فنجده يمثل الثقافات والكرامات الصوفية و انتشارها الواضح في عصر

(1)- سيرة حمزة البهلوان، م2، ص 260.

(2) - سيرة حمزة البهلوان، م4، ص265.

(3) - سيرة حمزة البهلوان، م4، ص246.

(4) - سيرة حمزة البهلوان، م1، ص34

(5) - سيرة حمزة البهلوان، م4، 218.

كتابة هذه السيرة أو السير الشعبية عموما.

يلعب الخضر عليه السلام هنا دورا رئيسيا إلى جانب البطل في أغلب حروبه، مع الجن بخاصة؛ إذ يحميه من أعدائه ويسعى لإنقاذه بنفسه؛ لسبب بسيط "أن حمزة من الأمناء على دين الله"(1). ويسعى على معالجته من جروحه المميتة أحيانًا، ويظل العين الحارسة لحمزة وأولاده يحميهم من كيد الكائدين(2)، وبخاصة في عالم الجن، ومملكة بلاد الظلمات ويسعى لخلاصهم جميعا، ويمدهم بالذخائر في هذا العالم، كما يقف إلى جانب الأبطال في حروبهم ضد السحرة والكهان.

والخضر الأخضر في هذه السيرة هو المدد الإلهي للأبطال، فعون الخضر للبطل هو عون للحق والعدل الذي يعرف ما حدث وما يحدث، على النقيض من خصوم البطل من أرباب السحر والكهانة، الذين يصدرون في حروبهم عن مدد "مدد شيطاني" - على حد تعبير السيرة - فالفريق الأول تساعده الملائكة العلوية، أما الآخر فتساعده الشياطين السلفية، وتكون الحرب بين الملائكة والشياطين، وطبيعي أن ينتصر الخير على الشر، في معارك من أطرف معارك السيرة، بين الإيمان والإلحاد.

ومن ذخائر الخضر عليه السلام للبطل؛ سيف يقطع في الجان "وطالما ظل حمزة حاملا له، فسوف تهرب منه مردة الجان والكهان، وعفاريت سيدنا سليمان، وما من واحد منهم يقدر أن يقترب من حمزة أو يضره بسوء"(3)

وسيف آخر مماثل يرشده إلى ما بعض "كنوز الملك سليمان" التي تفيده في حروبه(4)، ومنها حصاة لو وضعها تحت لسانه أغنته عن الطعام مهما كان جائعا(5)، كما تهديه زوجته الجنية "أسمابري" أيضا بعض الذخائر الهامة، ومنها "مهر لا نظير له من خيول الجان، فسماه حمزة غزال الجان"(6)، ولم تكن الذخائر من نصيب حمزة

---

(1)- سيرة حمزة البهلوان، م1، ص54.

(2) - انظر سيرة حمزة البهلوان، م4، ص47 و49، وم4 أيضا ص69؛ حيث يرفع الخضر سدًا هائلا في جبل كي يمر بديع الزمان ابن حمزة بجيشه من تحته.

(3) - سيرة حمزة البهلوان، م2، ص25

(4) - سيرة حمزة البهلوان، م2، ص53 وما بعدها.

(5) - سيرة حمزة البهلوان، م2، ص 31.

(6) - سيرة حمزة البهلوان، م2، ص51

وحده، بل من نصيب أولاده كذلك، ومنهم الأمير رستم(1). وذخائر الأمير بديع الزمان(2).

ومن هذه الخوارق تلك النبوءات والرؤى، ثم هناك القوى السحرية، وحكايات الكهانة والعرافة التي يراها الأبطال. فتكشف لهم الغيب وسبل الخلاص وترسم لهم خطط المستقبل، وهذه القوى جميعا تساهم في صنع هذا الخارق في البطولة في الملاحم والسير العربية جميعا، وهذه الغيبيات أو الكائنات الخارقة منها ما هو إيجابي يأتي معينا للبطل ومنها ما هو سلبي يأتي محاربا للبطل ويكون عنصرا متمما للشر ومكونا معه "حزب الشيطان" كما ذكرت السيرة.

الخاتمة:

وفي ختام هذا الموضوع أرى أن الشخصيات الرمزية في السيرة الشعبية من أهم قواعد بنائها، كما قال أرسطو في تعريف الرمز حين قال: الكلمات رموز لمعاني الأشياء، أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولًا ثم التجريدية ثانيًا، وإن الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة، ومن خلال هذا الطرح نوضح أن:

- رسم البطل في السيرة الشعبية يقوم على الإقناع والحجة، كما أنها تنشد في سياقات مخصوصة أقرتها الجماعة الشعبية لها تقاليد ترتبط بأداء وإنشاد السيرة الشعبية، منها ما يتصل بمتن السيرة نفسه، وشاعرها ومتلقيها، ومنها ما يتصل بسياق إنشادها، إذ تتنوع التقاليد والسياقات بتنوع الفضاءات التي تنشد فيها والجماعات التي تؤديها وتتلقاها. فيعد نص السيرة تسجيلا كلاميا إبداعيا وشخصياتها رمزًا لحدث تواصلي.
- شخصية البطل حمزة البهلوان شخصية رمزية يمثل بالدرجة الأولى الشخصية النموذجية التي تحققت فيها مواصفات القيادة في إطار الثقافة العربية، فلا يمكن أن تتكامل الفروسية العربية إلا إذا كان الفارس البطل شاعرا قادرا على أسر خصومه بشعره وبيانه، مثلما هو قادر على أسرهم بسيفه وفروسيته وهي سمة من سمات البطل الملحمي العربي، ويمثل بطل السيرة الجانب المأثور من الهوية العربية؛ فأبطالها ليسو محض شخصيات في أوراق أو حكايات، ولكنه تمثيل للمعرفة والخبرات ولملامح أمة بأكملها.

---

(1) - انظر ذخائر الأمير رستم في السيرة، م2، ص279.

(2) - انظر ذخائر الأمير بديع الزمان في السيرة، م3، ص42-44.

- شخصية عمر العيار ليست مكملة للبطل الملحمي أو كباقي الشخصيات المساعدة في السيرة، بل هي جزء رئيسي من البطولة الملحمية، ويتسم بقوة الحيلة والقدرة على المكر والدهاء، ويساعد البطل الرئيسي ويشاركه أهدافه وغاياته، فهو في بداياته يكون مساعدا للبطل وفي نهاية مشواره أصبح وزيرا للحكومة الجديدة؛ فأصبح عمر هنا رمزا سياسيا للمجتمع المتحضر الجديد الذي نهض به حمزة في الملحمة.
- مهردكار أصبحت رمزا للحرية المدنية، لذا لعبت المرأة دورا متصلا بالبطل منذ البداية حتى النهاية كما في سيرة عنترة في موقفه مع قومه من أجل عبلة، فحمزة هنا يريد مهردكار الرمز وليست المرأة، وكان لظهورها المثال الذي ينبغي أن يكون بدوره رمزا للتكامل الحضاري في السيرة أي اللقاء الحضاري بشقيه المادي والروحي معا والرمز الصريح الذي تريده الجماعة العربية.
- شخصية سيدنا الخضر تمثل الثقافة الباطنية الرمزية وفصاحة اللسان ذات صياغة صوفية، ويؤكد هذه الفصاحة كل من ابن إياس وراوي سيرة حمزة البهلوان، فالخضر يروي الحكم والتعاليم والوصايا، لا على الناس العاديين وحسب، بل على من هم من الأنبياء كسيدنا موسى بن عمران عليه السلام وموقفه مع الخضر في سورة الكهف حيث ظهر علمه بما سيجري من أمور، ويلعِب الخضر عليه السلام هنا دورا رئيسيا إلى جانب البطل في أغلب حروبه، مع الجن بخاصة؛ إذ يحميه من أعدائه ويسعى لإنقاذه بنفسه.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

- قصة الأمير حمزة البهلوان المعروف بحمزة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1985م.

المراجع العربية:

1) ابن إياس: بدائع الزهور، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بالأزهر- 1954م.
2) أحمد آمين: قاموس العادات والتقاليد، نوابغ الفكر للنشر والتوزيع، ط2، 2008م.
3) تغريبه بني هلال، مكتبة محمد علي صبيح بالأزهر بالقاهرة، د.ت.
4) الثعلبي: قصص الأنبياء، طبعة مكتبة الجمهورية العربية بالأزهر، 2002م.
5) خطري عر ابي، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية، سيرة سيف بن ذي يزن أنموذجا،

ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة،.2009م.
6) سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، دار المعارف، الطبعة 4، 1959م.
7) سويرتي محمد: النقد البنيوي والنص الروائي، إفريقيا الشرق، المغرب، 1991م.
8) طلال حرب: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،1999م.
9) عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.
10) عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مطبعة جامعة القاهرة، دار المعارف، ط2، 1968م.
11) عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور مع مسرد إنجليزي عربي، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 1983م.
12) عبد الكريم الجهيمان، أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب، دار أشبال العرب، بيروت، ط6، 2000م، ج1.
13) غريب محمد غريب: سيرة حمزة البهلوان، أطروحة ماجستير، جامعة القاهرة، 1969م.
14) غنيم سيد محمد: سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، مصر، 2008م.
15) القاموس المحيط للفيروز أبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- الطبعة الثانية،1952م، ج2.
16) محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: قصص العرب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج1، 1961م.
17) محمد جعفر محجوب، أدبيات عاميانه أي إيران (الأدب الشعبي الإيراني): مجموعة مقالات به كوشش حسن ذو الفقاري، نشر جشمه، تمهران، 1382هـ ش.
18) محمد رجب النجار: البطل في الملاحم الشعبية العربية (قضاياه وملامحه الفنية)، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2018م.
19) مصطفى البكور: سيرة الأمير حمزة بين التراثين العربي والفارسي، اتحاد الكتاب العرب، ع 130،131، خريف 2013م.
20) نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، 1997م.

المراجع المترجمة:

21) امبرتو إيكو: السيمياء وفلسفة اللغة، ترجمة د. أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.

22) زيودين ساردار وبورين فانلون، الدراسات الثقافية، تر: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م.

23) هنري بيير، الأدب الرمزي، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1981م.

الرسائل العلمية:

24) شوقي علي محمد الزهرة: أثر السيرة الشعبية في رسم البطل في الرواية التاريخية في مصر من سنة 1914م إلى سنة 1950م، أطروحة ماجستير، جامعة القاهرة، إشراف أ.د/ سهير القلماوي، 1983م.

25) غريب محمد غريب: سيرة حمزة البهلوان، أطروحة ماجستير، لم تطبع، جامعة القاهرة، 1969م.

26) نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو: 2012م.

المجلات والدوريات:

27) محمد رجب النجار: الثقافة العربية المشتركة في التراث الشعبي العربي، ع2، جامعة المنصورة، 2000م.

28) محمد حافظ دياب: المثقف العربي والدولة: جدل الرمز والسلطة، مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين، ع63،64، 2003.

29) محمد العبد: النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، العدد 60، صيف خريف 2002م.

30) مصطفى البكور: سيرة الأمير حمزة بين التراثين العربي والفارسي، اتحاد الكتاب العرب، ع 130،131، خريف 2013م.

31) منصور بويش: السيرة الشعبية: السرد الشعبي في التراث العربي التشكل والأنواع، ع 15، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، 2015م.